

القيم الجمالية في الخطاب القرآني وأثرها في بناء السلوك الحضاري

أ/ عبد الحليم لالوسي

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة-

مقدمة :

يعتبر البحث في قيمة "الجمال" من أهم البحوث التي ينبغي العناية بها، لأن التاريخ أثبت: " (ضرورة القيم للإنسان) على أساس أن الإنسان لا يكف عن التعلق بالمثال ونشدان الكمال في عالم الواقع ، وأنه لا يمكن أن يستغني عن خالقه سبحانه الذي هو مصدر الكمال ، أو بتعبير فلسفي: لا يمكن للإنسان المحدود أن يستغني عن الوجود اللانهائي الذي هو الحق المطلق ، وأن هذا التعلق الفطري لدى الإنسان بما فوق وجوده هو ما يجعله يستشعر أنه مسؤول عن كل أفعاله ، وأمام محكمة ضميره على الأقل" ⁽¹⁾.

فإذا ثبت أن هذا النزوع فطري ، وتأكدت هذه الضرورة ، فلا شك أن هناك انحرافات تطرأ على مفاهيم هذه القيم وخاصة في هذا العصر الذي اضطرت فيه كثير من المفاهيم ، وأعطيت من المضامين ما لا تتحملها ، أو وجهت توجيهها بخدم تيارات محددة ، ولا سيما أن قضية الجمال كثيرا ما زلت فيها الأقدام ، وحارت الأفهام وخرج بها أصحابها عن حدود الاعتدال فنسجوا حولها الأساطير والانحرافات وبنوا عليها الطقوس والمعتقدات . ومن ثم كان من الضروري العودة إلى مصدر هذه القيم لترشيد مفاهيم الإنسان حولها .

ولما كانت هذه القيمة من الخطورة بمكان، فقد تنوعت الأساليب القرآنية لتربية الإنسان عليها التربية السليمة، والارتقاء به في سلم الكمال. وباستقراء النصوص القرآنية يتبين لنا أن من الآليات التي اعتمدها القرآن لتهذيب النفس وتربيتها أسلوب غرس معاني الجمال لارتباطها بحقيقة التدين الصحيح، فقد نجد في كثير من الأحيان أن حقيقة التدين لا يمكن أن تكون صورة معبرة عما يريده الله من عباده إلا بتشرب النفس لهذه القيمة ، أما إذا انفصلت هذه القيمة عن الجوهر والمظهر ، فيمكن أن يقدّم الدين في صورة باهتة أو مشوهة ، ولعل من أسرار توجيه الله للرسول في هذا المقام ما نلمحه في قوله تعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ⁽²⁾ وفي ذات المعنى جاء الحديث الصحيح : "إن الله جميل يحب الجمال "

فالخلق في ذاته جميل ، لكنه قد يقدم بطريقة منقّرة، و أسلوب سمج ، فلا تقبله النفوس ، لذلك فالجمال النفسي والشكلي للداعية هو الذي يغري به ، ويجعل النفوس تنجذب إليه ، وذلك بما يظهره من رحمة ولين وجمالية في السلوك والكلمة والقُدوة .

وبالعودة إلى نصوص الكتاب الكريم نجد أنه تطرق إلى هذه القيمة وفصّل فيها ، لأنها تمثل القاعدة التي تتأسس على أركانها التربية الصحيحة، والتي من شأنها أن تنتج الشخصية المستقيمة المتوازنة التي تكون فاعلة في الحضارة وموجهة لها الوجهة السليمة . وهذا ما سأحاول صياغته من خلال الخطاب القرآني وفق خطة البحث التي تناولتها.

■ مفهوم الجمال

في بداية الحديث عن مفهوم الجمال يجدر بنا التنبيه أن التعبير القرآني عن هذه الظاهر استخدم عدة مصطلحات تختلف في مبناها ، إلا أنها تتفق في أهدافها ومدلولاتها ، لذلك سأحاول استقراء هذه الكلمة وأحواتها لإعطاء صورة شاملة عن المدلول اللغوي من جهة ، وعن المضامين التي تحتويها ظاهرة الجمال من جهة أخرى . وقد تبين لي بعد المطالعة المتواضعة أن السياق هو الذي يفرض نوع اللفظة المناسبة التي تستخدم في موضع دون آخر، لأن الألفاظ المتقاربة مشحونة بالمعاني المتفاوتة التي يفرضها السياق فالسياق في موضع يتطلب لفظة أقوى من موضع آخر، وإن كان الغرض واحدا.

أ. في اللغة :

جاء في القاموس المحيط : الجمال الحسن في الخلق والخلق، جَمَلٌ كَرِيمٌ، فهو جميل . والجملاء الجميلة التامة الجسم من كل حيوان، وتَجَمَّلَ تزَيَّنَ ، وجامله أحسن عشرته، وأجمل في الطلب : تأد واعتدل فلم يفرط⁽³⁾.

ب. الجمال في الاصطلاح

أشار صلاح الدين بيوني رسلان إلى أن الجمال : قوة باطنية يولد الإنسان مزودا بها⁽⁴⁾. وجاء في المعجم الفلسفي لصليبا: "الجمال صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سرورا ورضى. والجمال والقبح بالنسبة إلى الانفعال، كالحير والشر بالنسبة إلى الفعل، والحق والباطل بالنسبة إلى العقل"⁽⁵⁾

من خلال التعريفين يظهر أن الجمال طاقة باطنية تدخل في التركيبة الفطرية، لا تقتصر على أفراد دون آخرين ، و أن الشعور بالجمال انفعال لا إرادي ، ينتج عن تفاعل الذات الإنسانية مع مختلف الموضوعات التي تثير في عواطف الإنسان إعجاباً أو رغبة أو رهبة ، فتتفاعل النفس وتتحرك المشاعر بهذا المنظر ، أو ذلك الصوت ، أو غيره من السلوك والمواقف عند الوقوف على ممكن الإبداع فيه، بناء على القوة المدركة التي زود الله بها الإنسان . فإذا الشعور بالجمال هو نتاج العلاقة بين العقل المدرك بالشيء المدرك ، أي: بين الذات والموضوع .

صحيح أن الشعور بالجمال مسألة نسبية، لكن المؤكد أن هناك قدراً من الجمال يمكن أن يتلاقى جميع الناس في الحكم على جماليته ، مما يدل على أنه من المشتركات الإنسانية ، وإن كان للمنطلقات والمرجعيات وزن في تقدير الجمال ، وترجيح جماليته . فالمتدّين يرى في الصوّر المحسّنة للمخلوقات الحية رجس وشرك ، بينما يراها غيره عملاً فنياً رائعاً .

ج . الجمال في القرآن الكريم :

وردت مادة الجمال في القرآن الكريم ⁽⁶⁾ ثمانية مرات بصيغ مختلفة : جمال ، جميل ، جميلاً ومنها قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ⁽⁷⁾

﴿وَجَاؤُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ⁽⁸⁾

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ⁽⁹⁾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ⁽¹⁰⁾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ⁽¹¹⁾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ⁽¹²⁾

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ⁽¹³⁾

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ⁽¹⁴⁾

فالجمل : وهو الكمال في الحسن ، وفي معرض تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾⁽¹⁵⁾ يقول الألوسي : "جمال " زينة في أعين الناس وعظمة ، ووجاهة عندهم ، والمشهور إطلاقه على الحسن الكثير ، ويكون في الصورة بحسن التركيب وتناسق الأعضاء وتناسبها ، وفي الأخلاق باشتغالها على الصفات الحمودة ، وفي الأفعال بكونها ملائمة للمصلحة من ذرء المضرة وجلب المنفعة "⁽¹⁶⁾.

ويفهم من تفسير الألوسي للفظة الجمال بأنه يطلق على الصور والمظاهر كما يطلق على الأخلاق والصفات ، كما يطلق على الأفعال .

كما يشير إلى أن الصورة لا يعبر عنها بالجمال ، إلا إذا اشتملت على عناصر التناسق والتناسب المركبة لأعضائها ، ولعل هذا ما يلححه كل قارئ للقرآن ، وهو يجد في كثير من السياقات التلميح لذلك العنصر الذي يوحي بكمال الصنعة الإلهية ، ولفت النظر إلى عنصر الكمال والدقة والإحكام في الصنعة مقصود ، لأن مشهد الجمال يتأتى منه ، وهذا ما ملح إليه صلاح الدين بيوي وهو يتابع بعض المصطلحات القرآنية التي جيء بها لهذا الغرض ، لأن المشهد لا يبلغ كماله إلا إذا اتسم بوحدة من الصفات التالية التي تعد مبادئ للجمال ومنها :

* مبدأ عدم التفاوت في الخلق :

قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾⁽¹⁷⁾

* مبدأ التسوية في الخلق :

ومنها قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾⁽¹⁸⁾

* مبدأ التوازن في الخلق :

ومنها قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾⁽¹⁹⁾

* مبدأ التقدير في الخلق :

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾⁽²⁰⁾

* مبدأ الإتقان في الخلق :

و من ذلك قوله تعالى : ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْعَمَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽²¹⁾

* مبدأ الإبداع في الخلق :

﴿يَبْدِئُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽²²⁾

* مبدأ الإحسان في الخلق:

و من ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿23﴾ ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿24﴾

* مبدأ الصبغة في الخلق :

كما في قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ﴿25﴾.

وعلى العموم فمدار هذه الكلمة على الحسن الفائق ، فإذا توفرت هذه العناصر ، أعطت اللمسة الجمالية التي يتأثر بها الإنسان السوي، وإن كان الجمال نسبي ، أما الحسن فمطلق في الغالب ، وعادة يكون الحسن من صنع الله ، والجمال من فعل الإنسان.

ولفظ الجمال يلقي بظلاله على النفس فيشعر الإنسان بارتقاء وانسراح ، وقد يعبر عنها أحيانا وهو يحرك قسما وجهه ويصاحبها بتوسيع فتح جفنيه وكأما عند النطق بما تفتتح أمام ناظره الأبواب ، ويمتد خياله مع الصورة ليبلغ الآفاق ويتطلع لوضع أجمل في حياته . وهكذا مع سائر أحوالها من المفردات التي وردت في القرآن معبرة عن الجمال منها:

— لفظ الحسن : وهو الكمال التام. وورد في القرآن الكريم بمختلف الصيغ وفي عديد من الدوائر تجاوزت المائة وثمانون لفظة.

— لفظ الزينة : وهو كل إضافة يجعل القبيح جميلا . وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم أكثر من ستة وأربعين مرة ، استخدم للمدح والدم.

— لفظ وسيم: وهو كل أثر في الوجه تركه موسوما محمدا، وهو شيء تستلذه النفس ويميز الشخص عن غيره .

— لفظ النظارة : وتطلق على الجمال عندما يكون فيه بهاء وإشراق ، وهو الجمال المترف.

د . أما السنة النبوية فقد جاءت أحاديث كثيرة تستخدم لفظ " الجمال " بصراحة ، كما

جاءت أحاديث أخرى تعبر عن مضامين الجمال . منها :

قوله صلى الله عليه وسلم وهو يصحح مفهوم الكبير : "لا يدخل الجنة من كان في قلبه

ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال : "إن الله جميل

يحب الجمال ، الكبير بظر الحق وغمط الناس" ﴿26﴾.

وعلى العموم فمدار هذه الكلمة على الحسن ، بما تبعته اللفظة افي النفس من التفاؤل ، وهكذا مع سائر أخواتها من المفردات. وقد يستخدم القرآن أحيانا هذه الألفاظ مجتمعة ليعبر عن حالة عالية من التوقير لله تعالى ، وهي حالة تابعة لدرجة المعرفة ، فكلما زادت المعرفة بالجليل كان ما يقابلها من حالات التوتر الإيجابي في النفس ، فالتفاوت في استخدام الألفاظ هو الذي يكشف درجة انفعال النفس ، وما يكون معها من رغبة تسمو بالفكر إلى حالة روحية وجدانية تتوَّج بشعور الجلال والذي يمنحها حالة من الطمأنينة والراحة، وهي تعبر عن حالة روحية سامية تنفعل بها النفس ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾⁽²⁷⁾.

وقد ذهب محمد عبد الواحد حجازي إلى محاولة بيان حالة الجمال في الروح بربط العلاقة بين الجمال والجلال حيث يرى أن الجلال "جمال نائر عنيفة آثاره في النفس والفكر ، ومع هذا فليس لنا أن نقول إن الجلال أسمى من الجمال ، أو نقول إن الجمال أسمى من الجلال لأن لكل منهما بواعثه وضروراته ولكل منهما ميقاته المعلوم الذي يعرض فيه"⁽²⁸⁾.

وهذا الربط يكشف لنا أن النفس الإنسانية تهرها مظاهر السطوة والجبروت، ومظاهر الجلال فعند معابنتها ملاحظة مظاهر الجلال والجمال الإلهي يكتشف الإنسان ضعفه وحماقته، ويتمنى أن يمنح فرصة فيراجع نفسه ويعامل ربه بما يستحق من التقدير والتوقير . والحقيقة أن الخطاب القرآني تميّز في صياغة هذا المنهج لبناء شخصية الإنسان والارتقاء بتطلعاته وأشواقه ، فأين تجلّى ذلك ؟

■ تجليات الجمال في الخطاب القرآني

لما كان القرآن الكريم دينا شاملا لكل جوانب الحياة الإنسانية فقد تضمن خطابه كل مجالات الحياة الدنيا وكل محطات الآخرة وذلك ليلفت الأنظار إلى مكن الجمال في الكون لأن الألفة غالبا ما يتبلد معها الحس فلم تعد تثيره مظاهر الجمال فيأتي الخطاب ليلفت النظر ويحرك الخيال ويدغدغ المشاعر ليوقظها من سباتها ومنها:

1- مشاهد الجمال في الكون :

لقد خص الله تعالى الإنسان بتذوق الجمال ، لذلك حضّ القرآن الكريم نظر الإنسان لتأمل مشاهد الجمال المبثوث في مظاهر الكون المختلفة ، ومن شأن ذلك أن يوقظ إحساسه ،

سواء تعلق الأمر بالسماء المرصعة بالنجوم ذات الألوان المختلفة ، أو الجبال الشاهقة ذات الألوان المتنوعة ، أو الحداثق ذات البهجة التي تسر الناظرين ، أو الأنعام ذات المنافع والجمال ، أو التأمل في اختلاف ألوان الإنسان وما أوتي من محاسن ، بل تأمل الجمال المعنوي المتمثل في صور العمل ، والسلوك ، والأخلاق ، والفضائل . وسأحاول أن أضرب أمودجا من القرآن لكل ما سبق ذكره :

أ. في العلاقة مع الله : علاقة جميلة تقوم على الحب قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (29) فالحب أجمل علاقة تربط بين طرفين ، فكيف إذا كانت هذه العلاقة بين الخالق العظيم والمخلوق الضعيف .

ب. في العلاقة مع مشاهد الكون

. مشاهد الطبيعة وتنوعها وألوانها : قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ (30)

- مشاهد الجمال في النفس الإنسانية

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (31) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (32)

3- مشاهد الجمال في النظام الاجتماعي

أ. في العلاقة بين الأب وأبنائه قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (33)

ب. في العلاقة مع الزوجة قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (34)

ب. في العلاقة مع الجيران وذوي القربى قال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْغُيْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (35)

ج . في العلاقة مع اليتامى قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (36)

د . في العلاقة مع الإخوان قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (37)

هـ . في العلاقة مع غير المسلمين قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (38)

4- : مشاهد الجمال في السلوك

أ . في رد الفعل المتوازن قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (39). ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (40)

ب- وفي بيان ما ينبغي أن يكون عليه سلوك المسلم الذي تحقق بالمعنى الصحيح للعبودية قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (41).

5- : مشاهد الجمال في تصوير الآخرة:

كما نجد الخطاب القرآني وهو يستهوي النفس ويرغبها في الاستقامة على المنهج الصحيح والصراط المستقيم يصور لها المال الحسن ويرسم لوحات جذابة لتلك المقامات الجميلة التي تنتظر كل من يضبط شهواته وينضبط بأحكام الشريعة الإلهية ومنها :

أ . في بيان عظم الجزاء وحسنه: إذا كان اليوم الآخر للجزاء وإكرام أهل الإحسان، فإن الله جعل قانونا يجسد جمال الجزاء، فيوفي المحسنين حقهم وزيادة، فيكون جزاؤه بالفضل والإحسان. قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (42).

ب . في رسم الصور المختلفة: فمشاهد الجزاء يوم القيامة للمؤمنين تجلت في مظاهر غاية الحسن:

- في اللباس والطعام والشراب قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمْ جَنَاتُ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (43)

- في جمال الأنس قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (44).

6- مواقف جمالية: ومن مظاهر الجمال جمال المواقف حيث نقل القرآن مجموعة من المواقف التي يجلي من خلالها السمو النفسي التي بلغه أو يتطلع إليه أصحاب النفوس الكبيرة ومنها:

الموقف الأول: موقف أخلاقي: ساق القرآن هذا الموقف باعتباره موقفا حقيقيا وواقعيا ومتكررا في حياة البشر ليوضح لنا أهمية قيمة الجمال في الانتصار على الشهوات، بحيث تكون دافعا قويا تنبغ في وجدان الإنسان لحظة نورانية من الإيمان تنقذ الإنسان من الانحراف. قال تعالى: ﴿وَرَاوَدْتُهُ الْيَمَّى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (45).

الموقف الثالث: موقف التسامي الروحي من خلال موقف المعراج حيث تكون الذات الإنسانية أمام الجلال الإلهي بعد المجاهدات الكبيرة، بحيث تبلغ النفس حالة من الجهاد والصفاء، تستحق بفضلها أن تكرم بهذا الموقف الرهيب قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (46) أو تساق إليها كرامة، أو تنال بذلك فراسة، فالولاية درجات ولكل درجة بركات، فمن صبر الصبر الجميل في مجاهداته استحق التكريم من الجليل سبحانه قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (47).

وإذا المعراج يمثل لحظة وجودية نادرة في تسامياها حصن بها الحبيب المصطفى، فإن الله تعالى لا يحرم أوليائه من التسامي، فيمكن أن تكون هناك تجليات لأولياء الله كل حسب جهده وجهاده واجتهاده قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (48).

الموقف الرابع : موقف موسى وهو يطلب من الله أن يمكنه من النظر إليه قال تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾⁽⁴⁹⁾.

أهمية قيمة الجمال في الحياة الإنسانية:

لا شك أن التأمل في أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم يكشف أنه يستند إلى تحريك العواطف التي تركز على أصول ثلاثة كما يشير إلى ذلك محمد سعيد رمضان البوطي إذ يقول : " إن منابع العواطف في الإنسان تنحصر في الأصول الثلاثة التالية :

1. عواطف دافعة : كالفرح ، والأمل ، والرغبة .
2. عواطف رادعة : كالخوف ، والرغبة ، والإشفاق .
3. عواطف ممجدة : كالإعجاب ، والحب ، والتقدير ."⁽⁵⁰⁾

ولا خلاف في أن قيمة الجمال تنبع من انفعال النفس بهذه العواطف، وعند التأمل في طبيعة المشاعر الإنسانية وكونها " خطان متقابلان من خطوط النفس ، يوجدان فيها متجاورين مزدوجي الاتجاه ... هكذا ركب في فطرتهما "⁽⁵¹⁾ ندرك أنه ما من معنى عاطفي إلا ويعود نسبه إلى واحد من هذه الأصول الثلاثة ، وهي العمدة للتأثير في النفس الإنسانية ، والعمل على تغييرها ، إلا أن أهميتها الكبرى تكمن في القدرة على صياغة مزيج متكافئ من هذه الأصول الثلاثة التي تعد ينابيع العواطف كلها . يقول محمد قطب: " لكن في النفس البشرية إلى جانب ذلك خطوطا دقيقة أو قل أوتارا دقيقة والإسلام يوقع عليها جميعا أنغامها المناسبة، جميعها في آن واحد، ليستخلص منها — كما أشرنا من قبل — السيمفونية البشرية الكاملة المتناسقة الألحان "⁽⁵²⁾.

وإذا حدث غلبة لأحد هذه العناصر كان مصدر فساد في النفس الإنسانية، فلا ينبغي أن نبالغ في عواطف الفرجة والبحث عن الجمال، حيث يتحول إلى البحث عن المتع وتشغل بها النفس عن الوظيفة الحقيقية للإنسان. ومن ثم فالتطرف الذي تتجه فيه الحضارة في تصور الجمال ، يؤدي إلى بروز مظاهر الانحراف حتى إذا بلغ مداه هلكت هذه الحضارة. قال تعالى ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾⁽⁵³⁾ فالتطرف

حالة من حالات عبادة الجمال في مجال الغرائز وال عمران، وعندما يفقد الإنسان معيار الحق لتقدير الجمال وضبطه يكون في تصرفه هذا نهايته.

■ علاقة الجمال ببناء الشخصية :

يعتبر هذا المفهوم من أخطر المفاهيم التي ينبغي أن توضع لها ضوابط، ذلك أن كثيرا من الأقدام انحرفت ، لأنها فهمت قيمة الجمال على غير مقصدها في الحياة الإنسانية ، فبلغ الحد أن عبّدَ بعض الناس مظاهر الجمال ، لأنهم لم يستهدوا بمداية الله ، فتعددت الشبهات والشهوات في حياة البشر من منطلق عدم استيعاب هذه الظاهرة .

فجاء القرآن الكريم ووضح وظيفة هذا المبدأ في الحياة الإنسانية ، وجعل منه قيمة عظيمة تترى عليها النفس الإنسانية ، وتبني شخصيتها المتوازنة وترقى بها في سلم الكمال البشري ، فكان الخطاب القرآني منقادا للإنسان من تطرفه في فهم هذا الظاهرة ، ومن هذا المنطلق سأحاول أن أوضح كيف كان تناول القرآن الكريم لهذه القيمة، ومن ثم بنى منهجا قويمًا، وأسّس لأسلوب تربوي فريد ، يستثمر طبيعة النفس الإنسانية وتركيبتها بتوظيف هذه القيمة لصياغة شخصية الإنسان الرباني من جهة، والإنسان الحضاري من جهة أخرى أي: الإنسان الذي يخاف الله ، وفي ذات الوقت يعمر الكون وفق منهج الله الجميل .

لأجل هذا حرص الإسلام على استخدام مفردات الجمال، وبيان الغاية التي يجب أن تتحقق من ملاحظة هذه الظاهرة في الحياة ، فهي غير مقصودة لذاتها، وإنما لكونها تحقق أهدافا تربوية عظيمة في الحياة الإنسانية.

فتربية النفس على قيمة الجمال لها وقع خاص في الحياة الإنسانية ، لكونها مرتبطة بما ينشأ عنها من تصورات وأفكار ، وعدم ضبط هذا المفهوم يمكن أن يصيب الأفكار في الصميم ، ولما كانت الأفكار هي المحرك للأفراد والموجهة لسلوكهم كان الاعتناء بها من أهم ما ينبغي الاشتغال به ، ويمكن أن نترجم هذا الاعتبار في لغة الاجتماع فنقول : إن الأفكار بصفتها روح الأعمال التي تسير بوحيتها ، إنما تتولد من الصور المحسوسة الموجودة في الإطار الاجتماعي ، ومن ثم تنعكس على نفسيات الأفراد ، وتنطبع بها أفكارهم . فالجمال الموجود في هذا الإطار الاجتماعي والذي يشمل الألوان والأصوات والروائح والحركات والأشكال وشتى المناظر التي توحى للإنسان

بأفكار المجتمع ، ويطبعها بطابعه الخاص ، ويكرّس لديه مجموع المفاهيم عن الذوق الجميل ، أو السماجة القبيحة .

فبالذوق الجميل الذي ينطبع في فكر الفرد يجد نفسه ينزع إلى الإحسان ويتوخى كريم العادات، ومن ثم يصبح للذوق الجمالي أهمية فردية واجتماعية هامة، لذا اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار. فنلاحظ أن أقل الأعمال شأنًا له صلة بصور الجمال، ولها تأثير في صورة تفكير الفرد، وفي السياسة التي يرسمها لنفسه ، فلو أن فردا تكرّس لديه مفهوم جمالي معين كوجوب رمي القمامة في السلة المخصصة لذلك ، فإنه يستهجن من شخصه ومن غيره ما يخالف ذلك .

لأجل ذلك يصبح من الواضح لكل إنسان أن فقْدَ ذوق الجمال يسبّب مشكلات خطيرة في حياة الأمم كما أن تربية الأمم على قيمة تذوق الجمال يمكن أن يسخرّ لحل مشكلات في جوانب من الحياة الإنسانية ، فأحيانا غياب حركات جمالية بسيطة تكلف الأمم الكثير من المال والجهد والوقت بسبب الخلل في تقدير مفهوم الذوق الجمالي ، حيث لم تعد القوانين تنفع في شيء ، فالجمال الذي انطبع في النفس يمثل دور الرقيب الداخلي و هو المعوّل عليه في بناء الإنسان الصالح . ومن هنا يتقرر لدينا أن حضور هذا المفهوم له علاقة قوية بقضية الاستقامة والانحراف والتخلف والتقدم، والرقي والانحطاط والاضطراب والاستقرار في المجتمعات .

ويقدم الأستاذ مالك بن نبي مثالا يقرّب به هذه العلاقة الجدلية بين فقْدَ الذوق الجمالي وما يلحقه من الانحطاط الحضاري في صورة طفل يلبس ثيابا بالية جيكت من قاذورات وجراثيم(ثياب رثة) ، هذه الصورة تنعكس على الطفل فتقتله ماديا وأديبا. فهي ليست مجرد أسماح بالية تحمل الوسخ، ولكنها سخنّ لنفس الطفل، لقد أراد الطفل من الوجهة الخلقية ستر عورته، ولكن ثيابه الوسخة المرقعة قتلت كرامته. لذلك لا يخفى تأثير الصورة الشنيعة والرائحة الكريهة والألوان المتنافرة على شخصية الفرد. ويرى مالك بن نبي أن "كمال أنا تورك" عندما فرض القبعة لباسا وطنيا للشعب ، إنما أراد بذلك تغيير نفس لا تغيير ملبس ، إذ أن الملبس يحكم تصرفات الإنسان إلى حد بعيد ، لأن العدالة الشكلية تذهب أحيانا إلى أن الجُبّة تصنع الشيخ ، كما أن القُبّة تصنع القسيس (54).

إن دستور الجمال في النفس الإنسانية ، يوحى بالحل والمعالجة الممكنة ، باعتبار أن الجمال من أهم مقومات الثقافة ، وعليه ففكرة المحيط حول صوّر الجمال تدخل في كل عمل

فردى، أو إداري ، فإذا أخذنا بيد ذلك الطفل ، فساعدناه على تغيير هيأته ، وتصحيح مفهومه حول الجمال ، لربما صار شخصا آخر .

فقيمة الجمال تنعكس على نفسية الفرد و مردوده مباشرة ، ففي الدول المتخلفة لا ترى العامل جادا في عمله ، فهيأته لا تدل على أنه شرع في العمل من الناحية الذهنية . بينما العامل في الدول المتقدمة يبدأ مردود العامل من اللحظة التي يغير فيها اللباس ، ومن ثم نلاحظ ذلك الفارق الهائل بين المردودين ، على الرغم أن كلا منهما بقي في ورشة العمل نفس التوقيت ، فهناك ارتباط بين الشعور النفسي والقيم الجمالية لكل فرد مهما كان موقعه .

حيث أن المرء إذا شعر بقيمة كان مردوده أقوى إلى درجة أن تنعدم صفة خيانة الأمانة ، وينعدم الغش وشتى صور التدليس و التزوير ، وتتأكد قيم الإتقان والإحسان ، وحفظ مصالح الأمة والمجتمع . أما إذا غاب مفهوم الجمال كثرت الخيانة ، والسرقه ، والرشوة ، واختلاس المال العام ، وتضييع الأوقات ، والغش والتزوير وغيرها من أنواع الفساد على المستويات الخاصة والعامة .

من خلال ما سبق يبدو أن الحياة الإنسانية في شتى مجالاتها مرتبطة ارتباطا قويا بقيمة الجمال، ومن ثم فإن تذوق الجمال لا يمكن أن يقدم حلا لمشكلات المساكين فحسب ، بل للتدليل على تأثيره في المجتمع ، التأثير العام الذي يمس كل دقيقة من دقائق الحياة ، كالذوق في اللباس ، والعادات والضحك ، والعطاس ، وطريقة تنظيم البيت ، وطريقة استقبال المواطنين في الإدارة ، وتمشيط الأولاد ، والتفنن في الصناعة وإتقان الزراعة ، وممارسة السياسة ، والنشاط الاقتصادي والمالي والتجاري وتنظيف الشوارع.... إلخ

فعلى سبيل المثال فإن هذه الأخيرة (تنظيف الشوارع) يمكن أن نجد أن بعض الدول وهي تحاول فرض نمط جمالي تلزم سكانها بأن يراعوا نظافة مدينتهم ، فتفرض غرامة على من يبصق أو يلقي بأعقاب السجائر على الرصيف ، أو يقوم بأي تصرف يسيء إلى البيئة . ومن هنا يمكن وضع آلية قانونية لفرض نمط من الذوق الجمالي ، ولو بفرض عقوبات وغرامات مادام هذا السلوك الجمالي يجنبنا اختلالات في النظام ، والصحة ، والبيئة ، وجمال المدينة وغيرها . ومع مرور الوقت يصبح هذا السلوك يؤديه المواطن بقناعة وبتلقائية ، بل ويستهن أي سلوك يخالفه ، وقد يكون هذا من باب المصلحة المرسلة كما تنص عليها ضوابط المصلحة عند الأصوليين .

■ أثر تربية الأمة على مفهوم الجمال

مما لا شك فيه أن الأمة في أي عصر من عصورها لا يمكنها أن تحقق النصر على أعدائها أو تحقق إنجازات حضارية في حياتها إلا إذا بلغت حدا مقبولا من تذوق الجمال، بحيث يصبح حافزا ومولدا لطاقة الالتزام الأخلاقي أمام الله والنفس والغير والكون . فبالترية على الجمال نتحقق بصفة "الإحسان"، وهي منزلة لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق الرابية والشهود الحضاري . وقد أشار عماد الدين خليل إلى أهمية هذه القيمة في النهوض الحضاري ، وأنها متلازمة لكل نهضة حضارية فيقول: "وما التقوى والإحسان إلا وصول إلى المرحلة التي يحس فيها الإنسان المسلم أن يعطي كل جزئية في حياته لله وعلى عين الله التي لا تنام لحظة... وهذا الوازع الضميري ، وهذا الشعور بالمسؤولية له تأثيره الكبير على العطاء الحضاري كما ونوعا ، وعلى طبيعة التعامل مع هذا العطاء" (55).

ولا شك أن مرتبة الإحسان (56) أعلى طبقات الإسلام وأرفعها في سلم القيم الإسلامية ، وتصوّره الأساسي قائم على حب الله تعالى، وهذه القيمة تجعل المرء يتفاني في التضحية بصدق ووفاء ابتغاء مرضاته ، ومن ثم فالحسنون هم خلاصة التربية على منهج الجمال، وأن بناء هذا الطراز من المسلمين أساس في عودة عزة الإسلام وحضارته، وإلى هذا يشير عماد الدين خليل فيقول: "فالمُتَحَلِّون بالتقوى - وإن كانوا رجالا يوثق بهم ويعتمد عليهم - لكن قوة الإسلام وحيويته الجوهريّة إنما تتجمع وترتكز في المحسنين وحدهم . ولا ينهض بالمهمة التي يريدتها الإسلام في هذا العالم إلا على هذه الطبقة من المحسنين وحدها" (57). لذلك نجد أن العطاء العظيم في الدنيا من نصر وتمكين ، والجزاء الجزيل في الآخرة من جنة ونعيم كثيرا ما يرتبط بصفة الإحسان ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (58) وبهذا يتأكد ضرورة قيام التربية على هذا المنهج إذا أرادت الأمة التمكين لدينها، وأراد الفرد النجاة بنفسه .

غير أن الأمة قد تعرضت لأمرين خطيرين ليس أحدهما بأقل خطرا من الثاني وهما :

1 . تغييب الوعي بالقيم الجمالية : فهناك من المسلمين من يرى الحديث عن الجمال والزينة وكأنه أمر غريب عن ديننا ، وقد لا أكون مخطئا إذا قدمت دليلا من عدد المؤلفات التي تهتم بالقضايا

الجمالية ، فهي تعد عند الكثير من القضايا الثانوية ، على الرغم من أن الخطاب القرآني وبعملية إحصائية جعلها من المواضيع المحورية التي عليها مدار الخطاب القرآني .

2 . تشويه الوعي بالقيم الجمالية : فبدافع من الزهد في الدنيا أصبح المسلمون يعرضون صورا سيئة لا تليق بإسلامنا العظيم دين الطهارة والنظافة والزينة والحسن لا في ملابسهم ولا في مساكنهم ولا في أسواقهم ولا حتى في معابدهم ومساجدهم ، ولا في انتاجهم على أي مستوى كان .

وكلا الأمرين أثر سلبا على تقدم الصورة العظيمة لهذا الدين الذي من أبرز قيمه الجمال الركيزة الهامة في الفطرة الإنسانية.

وفي الأخير فإن قيمة الجمال هي التي تحدد الإطار الحضاري لأي مجتمع، لأنها متصلة به بالضرورة وتعبّر عن الصورة الحقيقية لأي أمة في العالم، مما يجعل صورتها ويحفظ كرامتها ويفرض احترامها على غيرها. في أعمالها المتقنة، وفي علاقتها الحسنة، وفي أقوالها الصادقة، وفي سياستها الرشيدة، حتى تكون الأمة الشاهدة كما أراد الله تعالى أن تكون. مصداقا لقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁽⁵⁹⁾

فالشهادة من الشهود وهو الحضور بعرض البديل الصالح، والنموذج الحضاري المتميز الذي يغري بمنهج أصحابه، ففاعلية المنهج حينما انعكست على نفوس أصحابه دفعتهم لإخراج هذه المنتجات الراقية والسلوكات العالية والروح السامية وخاصة أن الأمة في مرحلة تاريخية بلغ التدافع الحضاري مداه مع الحضارة المادية، فمن شأن الذوق الجمالي السامي الذي يظهر في إنجازات الأمة أن يخضع الأعناق لمنهجها . وقد ضرب لنا القرآن نموذج للنبي سليمان عليه السلام وهو يعرض الإنجاز الباهر الذي جعل الملكة بلقيس تخضع بعدما الانبهار بذلك الانجاز الجميل الذي أصابها بصدمة الإبحار وشعرت أمامه بالصغار ، مما جعلها تعلن إسلامها مع سليمان لله رب العالمين .

لا شك أن من عظمة الخطاب القرآني أنه كشف سرا عظيما وهو أن الله سبحانه وضع لنا منهجا جمع بين جمال الدين وجمال الدنيا في كثير من آياته قال تعالى : " وإنها للطافة كريمة أن يجمع الحق سبحانه في مفهوم الدين من خلال هذه الآية بين جمالين جمال الدين وجمال الدنيا "⁽⁶⁰⁾ فقال سبحانه : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ فالقيم المادية يعلن بصراحة أنها معتبرة ، مادام يتحرك في اتجاه متواز وموافق لإرادة الخالق أي الجانب الأخلاقي . قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أُنْزِلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ .

إن التدهور الذي تعيشه الحضارة المعاصرة يعود إلى فقدها لقيمة الجمال بمعانيه الصحيحة، حيث تحركت متلهفة على الجمال المادي الظاهر دون أن تضبطه بالجمال الروحي الذي يمثل الجوهر ففقدت توازنها لأنها أصبحت رهينة في تصرفاتها لضغط الغرائز، فانحطت إنسانية الإنسان وتنازل عن كرامته وأصبح في أسفل سافلين " {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} ﴿٦٣﴾ لذلك فالحاجة ملحة للعودة لما جاء في القرآن الكريم من هداية لتصحيح مفهوم الجمال وجعلها وسيلة لإحياء النفس والارتقاء بها وتركيتها ، لأن الغاية هي تأكيد الوجدانية ، فهو شعور ضروري حيوي وإحيائي في الآن نفسه، وهذا يلقي على الأمة جميعا أفرادا ونخباً ومسؤولين مسؤولية عظيمة لبيان منهج الجمال في الإسلام إخراجاً إلى الفعل والواقع .

الخاتمة: بعد هذا العرض المتواضع لهذه القيمة خلصت إلى النتائج الآتية :

1. التأكيد على أن قيمة الجمال قيمة أصيلة في الدين ولا تعارضه.
2. الريانيون في الأمة لا يصنعون إلا على قيمة الشعور بالجمال الذي ينمي فيهم قيمة الإحسان، واستحضار عظمة الله من خلال الوقوف على مظاهر الجمال والجلال.
3. أن صناعة واقع أفضل وأجيال أحسن لا يمكن تحقيقه إلا بتفعيل منهج إسلامي يقوم على ترسيخ هذه القيمة في حياة الأمة.
4. إن حرص الخطاب القرآني على التنبيه إلى مواضع الجمال، وملسات الحسن فيما يحيط بالإنسان يعد تحفيزاً له لبناء شخصيته وواقعه على هذه القيم.
5. بيان أهمية توظيف صوّر الجمال في تصحيح الإيمان و تقويته.
6. أن التأمل في الكون وملاحظة آيات الجمال والحسن، أساس مهم لترسيخ الإيمان.
7. السعي لتربية النفس على الأخلاق التي وصفت بالجمال: الصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل باعتبارها ركائز في العلاقات الإنسانية.

- 8_ إن بلوغ السلوك الحضاري يتطلب معرفة مكمّن الحسن في الحياة الإنسانية والتدرب على هذه السلوكات ، فالتحضر يتطلب جهدا ومجاهدة وتدريباً على كل سلوك جميل.
- 9_ إن الجمال في واقع الحياة هو انعكاس لجمال في النفس الإنسانية، فلا مناص من تربية النفس على الجمال في مختلف مستوياته.
- 10_ التنبيه على دقة الصنع ومكامن الجمال في الخلق فيه دعوة للإنسان لطلب المعرفة التي تمكنه من إتقان صنائعه، وأن منجزات الإنسان في عالم المادة والاجتماع بقدر ما تقتبس من مخلوقات الله تكون أقرب إلى الكمال.
- 11_ إن إقامة قيم الجمال والتمكين لها في الحياة في صورتها المثلى يتطلب وعياً بالآليات الموصلة إلى ذلك المبتغى . ومن ثم يصبح توفير تلك الآليات واجباً ، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وبناء عليه فإن فروض الكفاية التي تنظم الإدارة ، وتسيّر الصناعة ، والزراعة... وغيرها من المجالات مما يجب العناية به .
- 12_ أن هناك منهجاً يرسمه القرآن للتربية الروحية لتكوين الأجيال الربانية ونماذج "المحسنين " بالذات التي هي عماد الأمة وسر نجاحها. وينبغي الكشف عنه القيم الجمالية وصياغتها في مشاريع عملية حضارية ذات صلة بواقع الناس ، وسنّ القوانين التي تمكّن لهذه القيم وتحافظ عليها باعتبارها صورة من صوّر العبادة بمفهومها العام ، فالمسلم يتعبد الله بنظافة فرائه ، كما يتعبد الله بصلاة في مسجده ، فهذه تمارس في محراب الصلاة ، وتلك تؤدي في محراب الحياة وذلك مراعاة لواجب الوقت .
- 13_ إذا كان الجمال يعبر عن الدقة في الصنع ولا يمكن بلوغ الدقة إلا باكتساب المعارف والعلوم في القضايا المادية والمعنوية، فعلى مؤسسات الأمة الاهتمام بأصحاب المواهب الذين يتوفرون على المهارات واستثمارها في التفرد ببعض الصنائع والمنجزات.
- 14_ لمنهج الفن تأصيل في القرآن فمن الواجب على المتخصصين العمل على التأسيس لهذا الفن وبيان أركانه وضوابطه لتكوين الشخصية المسلمة المتذوقة للجمال في مختلف الفنون، وهي الشخصية الفاعلة في الحضارة لأنها مدخل لكثير من الشعوب.

الهوامش:

1. محمد الكتاني : منظومة القيم المرجعية في الإسلام الرابطة المحمدية للعلماء المملكة المغربية ط2سنة 2011 ص 13 .
2. سورة آل عمران الآية : 159
3. الفيروز أبادي : القاموس المحيط دار الكتاب الحديث الجزائر ط1 سنة 2004ص993
4. ينظر صلاح الدين بيوي رسلان القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ط سنة 1990ص 161
5. ينظر جميل صليبا : المعجم الفلسفي المجلد الأول 407.
6. محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دار الحديث القاهرة ط1 سنة 1996 ص 217
7. سورة النحل الآية : 6
8. سورة يوسف الآية: 18
9. سورة يوسف الآية: 83
10. سورة الحجر الآية:85
11. سورة الأحزاب الآية: 28
12. سورة الأحزاب الآية: 49
13. سورة المعارج الآية: 5
14. سورة المزمل الآية: 10
15. سورة النحل الآية: 6
16. محمود الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني دار الفكر للطباعة والنشر المجلد الثامن ص146
17. سورة الملك الآية: 3
18. سورة الأعلى الآية: 2
19. سورة الحجر الآية:19
20. سورة الفرقان الآية:2
21. سورة النمل الآية 88
22. سورة البقرة الآية 117
23. سورة السجدة الآية 7

24. سورة المؤمنون الآية 14
25. سورة البقرة الآية 138
26. صحيح مسلم كتاب البر والصلة والصدقة باب تحريم الكبر وبيانه حديث رقم 978
27. سورة الأنبياء الآية: 49
28. محمد عبد الواحد حجازي : الإحساس بالجمال في القرآن الكريم دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر الإسكندرية ط 1998 ص 136
29. سورة المائدة الآية : 54
30. سورة فاطر الآية: 72
31. سورة المؤمنون الآية: 60 / 61
32. سورة الفجر الآية : 27 / 28
33. سورة الإسراء الآية: 23
34. سورة الروم الآية: 21
35. سورة النساء الآية : 36
36. سورة الإسراء الآية: 34
37. سورة الحشر الآية: 10
38. سورة العنكبوت الآية: 46
39. سورة آل عمران الآية: 134
40. سورة فصلت الآية : 34
41. سورة الفرقان الآية: 63
42. سورة يونس الآية: 26
43. سورة الكهف الآية: 31
44. سورة الطور الآيات: 17/18/19/20/21
45. سورة يوسف الآية 23
46. سورة النجم 18 الآية
47. سورة آل عمران الآية 37
48. سورة العنكبوت الآية 69
49. سورة الأعراف الآية 143

50. محمد سعيد رمضان البوطي :منهج تربوي فريد دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر طبعة سنة 1985 ص82
51. محمد قطب:منهج التربية الإسلامية دار الشروق ط3 دون سنة ص 127
52. محمد قطب: المصدر نفسه ص 126
53. سورة الإسراء الآية 16
54. ينظر مالك بن نبي: شروط الحضارة دار الفكر لبنان ترجمة عبد الصبور شاهين ص 93/92
55. عماد الدين خليل :تألفت العلمانية مؤسسة الرسالة بيروت طبعة سنة 1983 ص 122
56. الإحسان هو أداء العمل على الوجه الأكمل يحركه شعور معية الله ومراقبته أي : "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك".
57. ينظر المرجع نفسه ص 100
58. سورة آل عمران الآية 148
59. سورة البقرة الآية 143.
60. حكيم الفضيل الإدريسي : البعد العرفاني لمعاني الجمال الإلهي نقلا عن فريد الأنصاري مجلة الإحياء الرابطة المحمدية للعلماء عدد 27 سنة 2008م
61. سورة الأعراف الآية: 31 / 32
62. سورة الأعراف الآية 26
63. سورة التين الآية: 5